البناء العلمي

المرحلة الثالثة

الفصل الدراسى الثانى

فضل الإسلام (١)

د. فهد بن سليمان الفهيد

الدرس الخامس



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللَّهمَّ صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

- {نشرع في هذه الحلقة -بإذن الله- من قول الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه.
- وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].
- روى النسائي وغيره عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه رأى في يد عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ورقة من التوراة فقال: «أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جِئتُكم بها بيْضاء نَقيَّة، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم». وفي رواية: «ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي». فقال عمر: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا")}.

- يجب على أهل الإسلام أن يكتفوا ويستغنوا بالقرآن العظيم، وكذا بسنَّة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- الكريم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لأنها الوحي الثاني، كما قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم ١-٤]، اللهم صلِّ وسلِّم عليه.

- وقد أمر الله -عَزَّ وَجلَّ- بطاعة رسوله في القُرآن في مواضع كثيرة جدًّا، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].
- مُتابعة الكتاب -وهو القرآن- توجب عليك -أيها المسلم- مُتابعة الرسول الذي أُنزل عليه هذا الكتاب، ومُتابعة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بالاتباع لسنَّته، وسنَّته -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- محفوظةٌ مكتوبةٌ معلومةٌ، حُفظَت وضُبِطَت، ونقلها الثِّقات بدءًا من الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- وهم أعدل جيل وأفضل جيل، ثم التابعون لهم بإحسانٍ.
- وهذا فيه إبطال الرجوع إلى الآراء الفاسدة والمذاهب الباطلة والأهواء المنحرفة وأقاويل الناس واستحسانات العقول؛ فهذه يجب اطِّراحها، والاكتفاء بما في الكتاب والسنَّة؛ فإنَّ فيه الكفاية وفيه ما يغني المسلم.
- قال: (باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه)، أورد الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- آيةً وحديثًا، وهذا الباب يتضمَّن عدَّة نصوص، ولكن الشيخ اقتصرَ على آية وحديث من باب الاختصار.
- قال: (وقول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩])، فيه أنَّ القرآن منزَّلٌ من عند الله، وأن الله -عَزَّ وَجلَّ- في العلو، وأنه -سبحانه وتعالى- فوق العرش، فالقرآن نزلَ من عند الله، **وهذا فيه فائدتان:**
  - ☑ **الأولى:** إثبات علو الله على خلقه.
  - ☑ **الثانية:** أنَّ القرآن من عند الله -عَزَّ وَجلَّ- وليس من عند غيره، فهو كلام الله ووحيه.
- قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، أي: على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وقال تعالى في سورة الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣- ١٩٥]، فالواسطة بين الله تعالى وبين الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- هو جبريل، وهو أعظم الملائكة وأفضلهم، وهو الموكَّل بالوحي، فسمع جبريل وحي الله -عَزَّ وَجلَّ- ونزلَ به على قلب محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ثم قرأه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على الناس، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] .
- فهذا القرآن من عند الله؛ إذن يجب عليك أن تكتفي به، وأن تفرح به، وأن تحمد الله على هذه النعمة، الله الذي خلقكَ وخلق كل هذه الخلائق هو الذي تكلَّمَ بهذا الكلام، فهذا وحيه.
- وهذا القرآن العظيم أنزل على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما في قوله: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ففيه وصف القرآن بأنَّ فيه التِّبيان، و"تبيان" مصدر، أي بيان لكل ما يحتاجه العباد من الجنِّ والإنس في أمور دينهم

وآخرتهم، فيما يتعلق بصلاحهم وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا وفي الآخرة؛ فهذا موجودٌ في القرآن، فأمور الدين كلها تؤخَذ من القرآن والسُّنَّة، قواعد الدين وأصوله العظام تُؤخَذ من القرآن والسُّنَّة.

- قال: (روى النسائي وغيره عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه رأى في يد عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ورقة من التوراة فقال: «**أمتهوكون يا ابن الخطاب؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم**». وفي رواية: «**ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي**». فقال عمر: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا").

- عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان في يده ورقة من التوراة، والتوراة هي الكتاب الذي أنزل على موسى -عليه الصلاة والسلام- وأتباع موسى أول الأمر كانوا على الإسلام، ثم حدث فيهم بعد ذلك الشرك والضلال والانحراف، ثم بعث الله عيسى بن مريم، فآمن به مَن آمنَ، ثم بعد مدَّة حدث الشرك والانحراف في أتباعه، ثم بعث الله محمدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو خاتم الأنبياء والرسل، فلا نبي بعده ولا رسل بعده، ويجب على جميع اليهود والنصارى وسائر الجن والإنس اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- وهنا أنكر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على عمر أنه ينظر في التوراة، فقال له: «**أمتهوكون يا ابن الخطاب؟**».

- والمعنى: **هل أنت مُتحير؟ هل أنت مُتشكك في أن ما أُنزل على محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فيه الكفاية وفيه الهدى والنور، وفيه ما يُغنيكم؟ لماذا تنظر في هذه التوراة؟ هل تريد شيئًا أعظم مما في القرآن؟ هل تريد شيئًا مزيدًا على ما في القرآن؟**

- كل خيرٍ وكل هُدَى، وكل ما فيه سعادتك ونجاتك هو موجودٌ في القرآن، ويُغني عمَّا في التوراة.

- قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**».

البيضاء: يعني الصَّافية، ليس فيها سواد الظُّلمات والبدع والشرك، وهذا فيه إشارة إلى التحريف الذي وقع في التوراة، فأول ما أُنزلت التورة كانت بيضاء سليمة، فهي كلام الله، فإن الله -عَزَّ وَجلَّ- كتب التوراة بيده كما جاء عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في السُّنة، فالتوراة كلام الله، ولكن بعد ذلك غُيِّر وحُرِّف، قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]، فالأحبار استحفظوا على كتاب الله، ولكن حصل منهم التقصير وحصل منهم النسيان، وحصل من كثير منهم التحريف والتَّلاعُب.

- وقوله: «**نقيَّة**»، يعني ما فيه شوائب، وهذا فيه إشارة إلى أن أهل التوراة بدَّلوا وغيَّروا وأدخلوا شوائب، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**لقد جئتكم بها بيضاء نقية**»، يعني شريعة الإسلام والقرآن والسنَّة صافية، وهذا يدلُّك على أنَّك تستغني بها وتكتفي بها، وتحمد الله -عَزَّ وَجلَّ- عليها، فلا يلتفت قلبك إلى ما عداها، فهذا من نقص المعرفة ونقص العلم، لأنَّ التفات القلب إلى ما عدا القرآن والسنَّة سببه أن الإنسان لا يرى الكفاية في القرآن والسنة، وهذا لجهله العظيم لِمَا احتواه هذا الكتاب العظيم -القرآن- والسنة

والمطهَّرة من العلم العظيم الكافي الشافي، فيذهب إلى التوراة ويذهب إلى الإنجيل مع ما فيها من التبديل والتحريف والتغيير؛ فهذا محل إنكار من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- على مَن فعل ذلك.

✸ **الأمر الأول:** هل أنت متحير متشكك؟!

✸ **الأمر الثاني:** أنَّ الشريعة بيضاء نقية، وهذه ليست كذلك.

✸ **الأمر الثالث:** قوله: «**ولو كان موسى حيًا واتبعتموه، وتركتموني ضللتم**».

- موسى نبي الله وكليم الله، من أولي العزم من الرسل، ومع هذا لو كان حيًّا في وقت مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- لم يجُزْ لنا أن نتَّبع موسى ونترك النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-؛ بل يجب علينا أن نتَّبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، بل قد أُخِذَ الميثاق على موسى وعلى جميع الرُّسل والأنبياء أنَّهم إن بُعث محمدٌ وهم أحياء أن يتَّبعوه، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ**.

- ومن السنة أيضًا يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما في الصحيح: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[١].

- وقوله: «**مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ**»، يعني: من أمَّة الدعوة، وهم كل من بلغته رسالة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فكل مَن وُلِدَ بعدَ مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فإنه يعتبر من أمَّة الدَّعوة، فيجب عليه أن يتبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو داخل في خطاب الدعوة إلى الإسلام.

  أمَّا مَن مات قبل مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فليس من أمة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- **والأمَّة تُطلق في الشريعة ويُراد بها أمَّتان:**

☑ **أمة الدعوة:** وهم كل مَن هو مخاطب باتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهم مَن وُلدوا بعدَ مبعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- إلى قيام الساعة، وهؤلاء يجب عليهم أن يدخلوا الإسلام؛ فهم مخاطبون بدعوة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

☑ **وأمة الإجابة:** وهم الذين استجابوا للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- ودخلوا في الإسلام، فهؤلاء هم أمَّته.

- والنصوص تأتي أحيانًا بمعنى أمَّة الإجابة، وأحيانًا بمعنى أمَّة الدعوة.

- وفي هذا الحديث قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ**»، يعني أمَّة الدعوة. قال: «**ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ**

---

[١] صحيح مسلم (١٥٣).

النَّارِ»، وهذا محل إجماع، وحكى هذا الإجماع جماعات العلماء قديمًا وحديثًا، فيجب على أهل الأرض جنهم وإنسهم، عربهم وعجمهم، نسائهم ورجالهم؛ أن يدخلوا في دين النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، ومن خرج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- فهو من الكفار، وهو من أهل النار.

- ولهذا يعتبرون من نواقض الإسلام مَن اعتقدَ أنَّ بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، فموسى لم يُبعَث إلى الناس كافَّة، أمَّا نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بُعث إلى الناس كافَّة، والذي يقول: إن التكاليف تسقط عن بعض الصالحين أو العباد إذا بلغ منزلة معينة في التعبُّد، فهؤلاء من خرافيي الصوفيَّة ضُلَّال، أو من بعض غلاة الرافضة الذين يقولون إنَّ الأئمة -أو السَّادة- تسقط عنهم بعض التَّكاليف؛ فهؤلاء خرجوا عن شريعة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.

- قال عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بعد هذا التوجيه من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: "رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيا".

- هذه الكلمات من جوامع الكلم، وقد جاء فضلها أن تُقال في الصباح والمساء، وجاء من فضلها أنها تُقال مع الأذان بعد قول المؤذن: "أشهد أن محمدًا رسول الله"، فيُجيبه ويقول: "وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، رضيتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا".

- الرضا بالله ربًّا والرضا بالإسلام دينًا، والرضا بمحمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا يتضمَّن معانٍ عظيمة جدًّا، لو تدبر المسلم الرضا بالله ربًّا؛ **فإنه يقوده إلى:**

  - الرضا بالقضاء والقدر.
  - أن لا يحسد أحدًا على نعمة أعطاها الله له.
  - أن يقنع بما قسمه الله له.
  - أن يرضى بشرع الله ويسلم لدين الله.

  - والرضا بالإسلام دينًا أن يرضى بقلبه وبلسانه وبجوارحه، فيعمل بالإسلام، ويستجيب لأوامر الإسلام، وينتهي عن نواهي الإسلام، وينقاد للإسلام.

  - والرضا بمحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- نبيًّا يتضمَّن معانٍ كثيرة جدًّا، ومن هذه المعاني ما ساقه المصنف هنا وبوَّب عليه "باب وجوب الاستغناء بمتابعة الكتاب عن كل ما سواه"، فمن ضمن المعاني: أنَّك تستغني بالله، وبكلامه وبكتابه وبرسالة نبيه وبسنة نبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- عن كل ما سواه من الآراء والأشياء الأخرى، وهذا فيه القبول للشريعة، والقبول لسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ-، والقبول لأحكام الإسلام، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] .

- فانظر -أخي المسلم وأختي المسلمة- هل هذا موجود في قلبك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ منشرح الصدر لأحكام الإسلام حتى لو كانت عليك؟

- ومما يدل على هذا المعنى: قول الله -عَزَّ وَجلّ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٨، ١٩]؛ فقفْ مع هذه الآية العظيمة وقفة، وفكّر فيها.

- يقول الله لأشرف الخلق محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾، هي شريعة الإسلام، القرآن، السنة، هذا الوحي من عند الله كله؛ جعل الله نبيه على هذه الشريعة، وهذا المنهاج وهذا الطريق، في العقيدة، في الحلال والحرام، في الأخلاق، في العبادات، في سائر أمور الدين؛ فالله يقول لنبيه ﴿فَاتَّبِعْهَا﴾، والاتباع هو: السير والتَّمسُّك والعمل، فعلًا للمأمور وتركًا للمحظور.

- <u>قال بعض السلف: كل من ابتدع في الدين بدعة فإنَّه تركَ سنَّة من سنن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ.</u>

- وقوله في هذه الآية: ﴿اتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، إذن هذه الشريعة تكفيك أهواء الذين لا يعلمون، هوى العلماني، هوى الرافضي، هوى الباطني، هوى الخارجي، هوى المعطل لأسماء الله وصفاته، هوى الشيوعي، هوى المنحل عن الدين، هوى المتشدد في الدين والغالي فيه، هوى النصراني، هوى الملحد، هوى الفليسوف المنحرف، هوى الغاوي الذي يبحث عن الفواحش، أهوء ما لها حصر، فاتركْ هؤلاء، صراط الله واحد فاتبعه، وفي هذا غنًى لك وكفاية لك، فإذا اتبعت هذه الشريعة التي أنزلها الله -عَزَّ وَجلَّ- تغنيك عن هذا.

- وفي الآية وعيد لمن يتبع هذه الأهواء، ملل الكفر والضلال، وهؤلاء مجتمعون على محاربة الحق وأهله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]، فلا تخشَ منهم لأنَّك مع الله، فإذا كنتَ مع الله متبع لوحيه ولسنة نبيه؛ فالله وليُّكَ.

- ولهذا ترى سائر أهل البدع يُعادون السنَّة وأهلها، ويجتمعون على حرب السنة؛ بل تجد كفرة النصارى وكفرة العمانيين والملاحدة أشد ما عليهم هم أهل السنة والجماعة، فيُعادون السنَّة ويُحاربونها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، فاجتماعهم على عداوتنا لا يُخيفنا، لأن الله ولي المتقين، فإذا كنتَ متَّقٍ متبعًا متمسكًا بالوحي فتوكل على الله وأبشر بالخير.

- يقول الصحابة: النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- كان إذا خطب الجمعة كان يقرأ آيات، وخطب عمر الجمعة فقرأ سورة الحج كاملة؛ فيجب على الخطيب والواعظ والذي يريد التأثير في الناس أن يذكر الناس بالقرآن، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، فالقرآن أعظم مؤثر.

- يقول عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "والله لو صحت قلوبنا ما شبعت من القرآن"، فكيف نأتي إلى غيره!

- ولذلك جاء النَّص الصَّريح في النَّهي عن النَّظر في التوراة، والنهي عن النَّظر في الإنجيل والكتب السابقة؛ لأنهم أخفوا وبدَّلوا، وتعرفون -أيُّها الإخوة الكرام- أن آية رجم الزاني مُنزلة في التوراة، أنَّ اليَهُودَ جَاؤُوا إلى رَسولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ-، فَذَكَرُوا له أنَّ رَجُلًا منهمْ وامْرَأَةً زَنَيَا، فَقالَ لهمْ رَسولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: «ما تَجِدُونَ في التَّوْرَاةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ». فَقالوا: نَفْضَحُهُمْ ويُجْلَدُونَ، فَقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إنَّ فِيهَا الرَّجْمَ فأتَوْا بالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أحَدُهُمْ يَدَهُ علَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ ما قَبْلَهَا وما بَعْدَهَا، فَقالَ له عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فَقالوا: صَدَقَ يا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ، فأمَرَ بهِما رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَرُجِمَا[٢].

◆ فهؤلاء غيروا وبدلوا وأخفوا وكتموا؛ فكيف تنظر في كتبهم!

- فإذا كان هذا الوعيد الشديد فيمن نظرَ في التوراة والإنجيل؛ فما بالك بمَن نظرَ بكتب الملاحدة والفلاسفة وأهل الضلالات من غلاة الصُّوفيَّة، فمن باب أولى أن نقول بعدم جواز النظر في هذه الكتب، وأن نكتفي بالقرآن والسنة عن هذه الضلالات ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ويُستثنى من هذا مَن أراد الرَّد عليهم من العلماء الذين عندهم قدرة وعندهم تمكُّن، فهذا جهاد في سبيل الله، فلا بأس أن ينظر في هذه الكتب ويستخرج منها، ويُبيِّن الأخطاء، ويُبيِّن التَّناقضات التي عندهم، أما عموم الناس فلا، حتى من أهل العلم ما يلزم أن ينظر في مثل هذه الكتب.

◆ هل معنى هذا أنَّنا لا ندرس العلوم النافعة كالرياضيات أو الفيزياء، والهندسة، والكيمياء، والطب، وأنواع الصناعات والتكنولوجيا؟

- هذه ليس فيها شيء وهي جائزة؛ بل قد تكون مشروعة ومندوب إليها إذا نفعت المسلمين، ونفعت الدَّارس، وقد تكون واجبة إذا ترتَّبَ عليها مصالح للمسلمين، فإذا تُركِت مَن يتولَّاها!

- وهذه العلوم لا تعارض الشريعة، ولو وُجدَ فيها ما يُعارض كلام الله وكلام رسوله فلا نقبله ونُصحِّحه، ولله الحمد نجد اليوم من طلبة العلم ومن المتخصصين في هذه العلوم غير الدينيَّة مَن برز حتى علا أولئك النصارى.

❑ }قال -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام.

❑ وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨].

❑ عن الْحَارِثَ الأشْعَرِيَّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- أنه قال: «آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أَنْ يُراجِع وَمَنْ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثا جَهَنَّم».

---

[٢] صحيح البخاري (٣٦٣٥).

فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ والْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ». رواه أحمد والترمذي. وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

❑ وفي الصحيح: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ». وفيه: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟». قال أبو العباس: "كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية. بل لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار! قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «أَبِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟»، وغضب لذلك غضبًا شديدًا. انتهى كلامه، رحمه الله)}.

- قال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (باب ما جاء في الخروج عن دعوى الإسلام).

◆ ما معنى (دعوى الإسلام)؟

- دعوى الإسلام أي: اسم الإسلام، وصف الإسلام.

◆ إذا سُئلتُ أنا أو أنتَ أو أي شخص ينتسب لهذا الدين: من أنت؟

- تقول: أنا مسلم، تنتسب لهذا الإسلام، فهذه دعواك -أي عنوانك- وهذا وصفك ولقبك "أنا مسلم" أو "أنا من المسلمين"؛ فهذا اسم يُطلَق عليك، وصار هذا دعوى -أو سِمة أو وصف- وليست بمعنى الدَّعوى -التي هي ادعاء الكاذب- ولكن الدعوى هنا يعني الاسم والسمة والوصف الذي يُطلق عليك.

- فدعوى الإسلام، أي: وصف واسم الإسلام، لا تخرج عن هذا الوصف إلى أوصاف أخرى، لا تترك هذا الوصف وتقول هذا ناقص، وكل الناس هكذا، وأنا أريد وصف جديد ليميزني عن الناس! لا؛ هذا اسمٌ يسعكَ ويكفيك، وهو نعمة كبرى عليكَ وعليَّ وعلى كل مَن انتسبَ لهذا الدين، لأنَّ من البلايا العظيمة أنَّ بعض الناس لا يكتفي باسم الإسلام فيذهب يأتي بوصفٍ آخر يعتزي إليه، وينتسب إليه، ويتفاخر به، ويزدري اسم الإسلام، ويخرج عن وصف الإسلام ولا يراه شيئًا إلى أسماء مبتدعة مخترعة لا خير فيها.

- وأتى الشيخ بقول الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

◆ وهنا نقف وقفة في قول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾، من الذي سمَّى المسلمين بهذا الاسم؟

- المفسرون في هذا الموضع اختلفوا على قولين:

❍ القول الأول: لما قال: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ﴾، فقال بعضهم: إنَّ إبراهيم هو سمَّى من يتبع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- بالمسلمين.

❍ **القول الثاني** وهو الراجح: قوله -عَزَّ وَجلَّ: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ**﴾، الضمير عائد على لفظ الجلالة "الله"، وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم.

- وفي هذا الفرح باسم المسلمين، فالله -عَزَّ وَجلَّ- هو الذي سمَّانا "مسلمين"؛ فنفرح بهذا الاسم، ونرضى بهذا الاسم، ولا نخرج عن هذا الاسم، ولا نظن أن هذا الاسم قليل الأهميَّة أو قليل الفائدة فنبحث عن ألقاب أو أسماء أخرى، فأشرف وأعظم نعمة عليك أنك مسلم، والله هو الذي سمَّاكَ بهذا الاسم.

- قال تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلُ**﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

- وقوله ﴿**وَفِي هَذَا**﴾، أي: فيما أُنزل على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ- وهو القرآن العظيم.

- وبهذا نعرف فضل الإسلام، ونعمة الإسلام، وأنها منَّةٌ كبرى على الإنسان، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤]، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧- ١٢٩]، يعني أمَّة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ. قال: ﴿**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

